الخبر والإنشاء

المبحث الأول

الخبر

الخبر : هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته .

والمقصود بـ «لذاته» أي بغض النظر عن قائله . فهناك أقوال لا تحتمل الصدق والكذب ، بل هي صادقة ، كأقوال الله تعالى ، وأقوال الرسول ﷺ ، والبديهيات ، مثل : «تشرق الشمس صباحاً وتغرب مساءً» .

وهناك أقوال أخر كاذبة كأقوال مدعي النبوة . ولكننا نعدها «أخباراً» لأننا ننظر إليها لذاتها .

وقد «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب . فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا : فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع . وكذبه عدم مطابقة حكمه له . هذا هو المشهور وعليها التعويل» [1]

أغراض الخبر

للخبر غرضان أصليان هما : فائدة الخبر ، ولازم الفائدة .

1 - **فائدة الخبر** : والمقصود بها إفادة المخاطب مضمون الجملة أو الجمل ، حين يكون جاهلاً هذا المضمون .

فعندما تقول لمن تخاطبه : عاد إبراهيم من سفره (حين لا يعلم بعودة إبراهيم) كان ذلك ما نطلق عليه «فائدة الخبر» فقد عرف المخاطب أمراً كان يجهله وهو : عودة إبراهيم من سفره .

ومثله قول الأخطل الصغير :

رضيت وقد ذهب الجفا وكذا الهوى لين وشدَّة
وتبسَّمت فعلمت إن رجعت لنا تلك المودة

---

(1) القزويني : الإيضاح : 13/1 . لمزيد من التفصيل في هذا الأمر . انظر :
القزويني : المصدر السابق : 14/1 ، 15 ، ود. بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية : مادة (صدق الخبر وكذبه) .

ولا يقتصر ذلك على ما مر بل يضم الأخبار المتعلقة بالأمور العلمية والفنية وغيرها من مجالات الحياة التي يجهلها المخاطب فيعرف بها مثل: «الخنساء ، هي تماضر بنت عمرو الشريد ، من قبيلة سُليم . ليس لها من أخوة غير «معاوية» شقيقها ، و«صخر» أخيها لأبيها . وصخر هو الذي أكثرت فيه الرثاء . ولا نعرف لها أخوات ، لا من أمها ولا من أبيها ، فكانت - كما يبدو - الابنة الوحيدة »[1] .

2 - **لازم الفائدة** : وهو أن يريد المتكلم إعلام المخاطب أنه عالم بمضمون الخبر، مثلما المخاطب عالم به . مثل :

(*) كان نجاح ابنك باهراً .

(*) أنت الذي أنقذت الطفل من الغرق قبل يومين .

أضراب الخبر

أي : أنواعه .

قال عبد القاهر الجرجاني[2] : «رُوي عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس[3] وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ! فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : «عبد الله قائم» ثم يقولون : «إن عبد الله قائم» ثم يقولون : «إن عبد الله لقائم» ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد !!

فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ !

فقولهم : «عبد الله قائم» إخبار عن قيامه . وقولهم : «إن عبد الله قائم» جواب عن سؤال سائل . وقولهم : «إن عبد الله لقائم» جواب عن إنكار منكر قيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني» .

---

(1) د. محمد جابر عبد العال الحيني : الخنساء : ص 54 .

(2) دلائل الإعجاز : 206 .

(3) هو ثعلب أو المبرد ، وكانا متعاصرين ومتفقين في الكنية . انظر : المصدر السابق : هامش الصفحة نفسها .

وهكذا نجد أن قضية الخبر تحتاج إلى تأمل ، وليس هذا بجديد ، فكثير من قضايا الحياة تحتاج إلى تأمل .

وقد لاحظنا كيف أجاب أبو العباس الكندي مبيناً له الفروق بين معاني الجمل الثلاث .

فالمتكلم يجب أن يلاحظ المقام أو الحال ليأتي كلامه مطابقاً مقتضاه . وقضية أضراب الخبر تدور حول الخبر مؤكداً أو غير مؤكد ، وإذا كان مؤكداً فبمؤكد واحد أو أكثر . وذلك يتعلق بالمقام أو الحال الذي يقال فيه الخبر .

وأضراب الخبر ثلاثة : ابتدائي وطلبي وإنكاري :

1 - **الابتدائي** : وفيه يكون المخاطب خالي الذهن من حكم الخبر ، أي : من مضمونه ، لذا يكون الخبر خالياً مما يؤكده . مثل :

(*) منذر صديق أخي منذ الطفولة .

(*) قول أحد الأدباء .

«النوم بعد الجهد ميناء بعد البحار العاصفة» .

2 - **الطلبي** : وهو أن يكون المخاطب متردداً في قبول حكم الخبر ، شاكاً فيه ، فيؤكد بمؤكد واحد ، دفعاً للتردد والشك عند المخاطب . مثل :

(*) أن منذراً صديق أخي منذ الطفولة . (التوكيد بـ «إن») .

(*) قد عادت ندى إلى البصرة قبل أيام . (التوكيد بـ : قد) .

(*) قوله تعالى : ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية : 22] (التوكيد بالباء الزائدة) .

3 - **الإنكاري** : وهو أن يكون المخاطب منكراً حكم الخبر ، فيؤكد الخبر بأكثر من مؤكد واحد . مثل :

(*) إن منذراً لصديق أخي منذ الطفولة . (التوكيد بـ «إن» ولام الابتداء) .

(*) والله قد عادت ندى إلى البصرة قبل أيام . (التوكيد بالقسم وقد) .

(*) وحقك سأنتزع حقي بقوتي . (التوكيد بالقسم والسين) .

مؤكدات الخبر

مر بنا أن من الخبر ما يؤكد بمؤكد واحد ، وهو الخبر الطلبي ، ومنه ما يؤكد بأكثر من مؤكد واحد ، وهو الخبر الإنكاري .

ومؤكدات الخبر عديدة منها :

1 - إنّ . مثل :

(*) إن منذراً صديق أخي منذ الطفولة .

(*) قول معن بن زائدة :

إني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

2 - لام الابتداء . مثل :

(*) لمحمد أسرع من سعيد في العدو .

(*) قول كعب بن زهير :

إن الرسول لنور يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

3 - قد . مثل :

(*) قد أكرم فريد ضيفه خير إكرام .

(*) قول الشاعر :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كاذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلا

4- السين : وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للمستقبل . مثل :

(*) قول الشابّي :

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء

(*) قول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود :

سأحمل روحي على راحتي وأهوي بها في مهاري الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى

5 - أحرف التنبيه . (ألا ، أما) . مثل :

(*) قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(*) قول الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش إن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر

6 - القسم (وأحرفه : الباء ، الواو، التاء) مثل :

(*) بالله قمت بواجبي على ما يرام . (الباء) .

(*) وحياتك أنت صديق عزيز . (الواو) .

(*) قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : 57] . (التاء) .

7 - نونا التوكيد (الثقيلة والخفيفة) . مثل :

(*) قوله تعالى (السابق) : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾. (الثقيلة) .

(*) قول امرئ القيس : (الخفيفة) :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمَنْ من كان في العصر الخالي

8 - الحروف الزائدة : وسميت زائدة لأنها يمكن رفعها من الكلام ويظل مع ذلك سليماً ويؤتى بها لتوكيد الكلام . ومنها : الباء ، إن ، ما ، من . ومن الأمثلة عليها ما يأتي :

(*) الباء : قوله تعالى : ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية : 22] .

(*) إن : قول بشار بن برد :

ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

(*) ما : قول بشار أيضاً :

إذا ما غضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

(*) من : ليس عليك في فعلك هذا من بأس .

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

عرفنا أننا نذكر الخبر للخالي الذهن منه دون توكيد ، ونذكره للمتردد أو المتسائل مؤكدين إياه بمؤكد واحد . ونذكره للمنكر مؤكداً بأكثر من مؤكد واحد . وهذا ما نسميه مجيء الخبر على مقتضى الظاهر . يعني على مقتضى ظاهر حال المخاطب أي على مقتضى «ما هو خارجي» من حال المخاطب .

ولكن هناك أحوالاً تدعو إلى الخروج عن مقتضى الظاهر ، أي ذكر الخبر على مقتضى «الباطن» من حال المخاطب - إذا صح التعبير - والنفاذ في نفسيته ومخاطبته بما يناسب ذلك ، لا بما يناسب «الظاهر» منه . مثلاً :

1 - إنزال الخالي الذهن منزلة المتردد أو المتسائل ، فيأتي الخبر مؤكداً بمؤكد واحد .

فحين يقول مدرس لمراقب صف : «لا تفكر في الذي أخل بالنظام ، إنني معاقبه» .

فهنا جاء القول : «إنني معاقبه» مؤكداً بـ «إن» - مؤكد واحد - خروجاً عن مقتضى الظاهر والمفروض أن يجيء بغير توكيد جرياً على مقتضى الظاهر حيث أن المراقب خالي الذهن من مصير الطالب الذي أخل بالنظام ، ولكن المدرس استشف من حال المراقب أنه - بينه وبين نفسه - يتساءل عن مصير الطالب ، وأنه متردد في ذلك : هل يهمله المدرس ؟ هل يطلب مقابلة ولي أمره ؟ هل يعاقبه ؟ هل .... ؟ فخرج عن مقتضى الظاهر وأكد بمؤكد واحد .

مثال آخر :

قال والد لولده : «العب الآن كما تشاء ، قد أديت واجبك» .

فالولد متردد متسائل عن سبب استطاعته اللعب كما يشاء فكان إن جاء الخبر مؤكداً .

2 - إنزال غير المنكر منزلة المنكر ، وهنا يؤكد الخبر بأكثر من مؤكد واحد .

مثل :

قول القائل لمخاطبه : «ساعد فؤاد جاره بكل ما يملك من مال ، إن مساعدة الجار لواجبة» .

فهنا حدس المتكلم أن المخاطب سينكر - بينه وبين نفسه ، لأنه غير منكر ظاهرياً - مساعدة فؤاد جاره بـ «كل ما يملك من مال» فجاء الخبر «إن مساعدة الجار لواجبة» مؤكداً بمؤكدين - إن واللام - دفعاً للإنكار المتصور وخروجاً عن مقتضى الظاهر .

مثال آخر :

قال طالب لزميل له لا يعير دروسه أهمية كبيرة : «قرأت دروسي مرات عديدة . إن المثابرة لضرورية للنجاح» .

3 - إنزال المنكر منزلة غير المنكر . وهنا لا نؤكد الخبر كما يقتضي مقتضى الظاهر بأكثر من مؤكد واحد بل نسوقه خالياً من التوكيد وكأنه قضية مسلم بها !

مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة : 163] .

المخاطب منكر هذه الحقيقة ولكن ذكر القول - الخبر - بلا توكيد إنزال للمنكر منزلة غير المنكر على اعتبار أن مضمون الخبر أمر بديهي ، فكل شيء حولنا يدل على ذلك .

(*) خدمة المجتمع واجب على كل فرد .

وهنا الكلام موجه إلى منكر «وجوب» خدمة المجتمع الذي يحتاج إلى التوكيد بأكثر من مؤكد واحد جرياً على مقتضى الظاهر ، ولكن الخبر جاء خالياً من التوكيد أصلاً لأن خدمة المجتمع مسألة مسلم بها ولولاها لتفكك المجتمع .

أغراض الخبر المجازية

مر بنا أن الخبر يقال لغرضين هما : فائدة الخبر ، ولازم الفائدة . وفي هاتين الحالتين يكون الخبر «حقيقياً»، ولكنه قد يقال الخبر لغير هذين الغرضين . ويكون في هذه الحالة «مجازياً» . ومقتضى الحال والقرائن هي التي نفرق بها بين الخبر الحقيقي والخبر المجازي .

والأغراض المجازية عديدة . منها :

1 - إظهار الضعف . مثل :

(*) أصبحت لا أستطيع أن أسير خطوتين .

(*) قول المتنبي يصف حاله :

عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام

2 - الاسترحام . مثل :

(*) قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص : 24] .

(*) أنت أرحم الراحمين يا ربنا .

3 - إظهار التحسر :

(*) قول الصمة القشيري :

واذكر أيام الحمى ثم انثنى على كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينك تدمعا

(*) قول المعري :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

4- التحذير . مثل :

(*) قول الشاعر :

ومن رعى غنماً في أرض مأسدة ونام عنها تتولى رعيها الأسد

(*) قول الشاعر :

من استنام إلى الأشرار قام وفي قميصه منهم صل وثعبان

5 - **الأمر . مثل :**

(*) قول مدرس رياضة لطلبته الرياضيين : «يحضر فريق كرة القدم إلى الملعب عصر غد» .

(*) قول رئيسة ممرضات إلى مجموعة منهن : «الممرضات الخافرات يراجعنني في غرفتي» .

6- **النهي . مثل :**

(*) قول والد لأولاده : «لا يقترب مني إلا من عمل اليوم صالحاً» .

(*) قول آمر المعسكر لمرؤوسيه : «لا يأتي معي إلا من أكمل تدريبه» .

7 - **التوبيخ . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر : 19 ، 20] .

(*) قول رب عمل لأحد العمال : «أنهى جميع العمال أعمالهم وأنت ما زلت في البداية» .

8 - **الفخر . مثل :**

(*) قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

(*) قول المعرى :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

9 - **المدح . مثل :**

(*) قول الشاعر :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(*) قول الشاعر :

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

10 - **التمني . مثل :**

(*) قول أحد صديقين تشدهما صداقة متينة ، للآخر ذي المشاغل الكثيرة: «أحب أن أراك في كل وقت» .

(*) قال رجل لوحيده الذي يدرس في بلاد أخرى : «أود أن تكون معنا وفي مكان دراستك في وقت واحد !» .

11 - **الحث على السعي وتحريك الهمة . مثل :**

(*) قول رئيس لمرؤوسيه : «من دلائل المواطنة الصالحة أن يتقن كل فرد عمله» .

(*) قول مدرس لتلاميذه : «سيحصل المتفوق على جائزة سنية» .

12 - **الدعاء . مثل :**

(*) وفقك الله في مساعيك .

(*) ساعد الله محمداً في محبته .